حديث القرآن عن المسجد

الدكتور
إبراهيم بن سليمان الهويمل
الأستاذ المشارك في كلية أصول الدين
بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
بالرياض

المقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولاتموتن إلا وأنتم مسلمون**﴾[١]

﴿**يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا الله الذين تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً**﴾[٢]

﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً. يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم، ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً**﴾[٣]

أما بعد:

فإن المساجد بيوت الله -عز وجل- في أرضه، وهي مكان العبادة التي هي أم العبادات البدنية -الصلاة- وقد أضافها الله إليه إضافة تشريف وتكريم فقال تعالى: ﴿**إنما يعمر مساجد الله**﴾ الآية[٤]

وجاء الحديث عنها في القرآن الكريم في آيات كثيرة تارة في بيان وظيفتها، وتارة في بيان آدابها، وتارة في عمارتها إلى غير ذلك من الآيات التي تحدثت عن المسجد بلفظه أو بصفته أو بما يعمل فيه. فأحببت أن

أجمع الآيات في هذا الموضوع ثم أقوم بدراستها وكيفية تناولها لهذه البقعة المباركة وإبراز أثر المسجد ومكانته في الإسلام، وأنه اللبنة الأولى في تكوين المجتمع المسلم وتعاونه وتماسكه وقوته، ففيه يجتمع المسلمون خمس مرات في اليوم والليلة، واجتماعاً أكبر في كل أسبوع وهو يوم الجمعة ومن المسجد يتعلمون، وفيه يتعارفون.

أهمية الموضوع

ترجع أهمية البحث والكتابة فيه -إضافة إلى ما تقدم- إلى ما يلي:-

١- أنه بحث متعلق بالقرآن العظيم -فهو بحث قرآني- ولا يخفى أهمية مثل هذا البحث، حيث يطلع الباحث فيه على حديث القرآن عن هذا الموضوع.

٢- أنه بحث يتعلق بأشرف البقاع وأحبها إلى الله، وهي المساجد.

٣- ارتباط المسلم بهذه المساجد يومياً خمس مرات مما يستدعي معرفة أحكامها، وفضل عمارتها، ووظيفتها، وآدابها، إلى غير ذلك مما يتعلق بأحكام المساجد.

٤- أن المسجد هو مكان تجمع المسلمين اليومي وله أحكام خاصة لا بد من معرفتها وفقهها.

٥- ضعف وظيفة المسجد في بعض البلاد الإسلامية وعدم الاهتمام به مما نتج عنه ضعف الرابط بين المجتمع والمسجد.

٦- إحياء رسالة المسجد.

منهجي في كتابة هذا البحث

أما منهجي في هذا البحث فهو يقوم على استقراء الآيات التي ورد

فيها لفظ المسجد أو البيت سواء كان مضافاً إلى لفظ الجلالة أو غير مضاف، وبعد استقراء الآيات وجمعها قمت بترتيبها على المباحث المناسبة لها، ثم قمت بدراستها حسب مايقتضيه الموضوع، مستعيناً بالأحاديث النبوية الشريفة المعينة على فهم الآية، حيث إن السنة مبينة لكلام الله -عز وجل- وشارحة له، مع الأخذ بعين الاعتبار عدم الاطالة في الاستشهاد بالأحاديث النبوية مخافة الاطالة أو الخروج بالبحث عن كونه بحثاً قرآنياً، ولذا اقتصرت على حد الحاجة.

وقد كانت الدراسة في هذا الموضوع مقسمة على حسب الآتي:-

١- المقدمة، وذكرت فيها أهمية الموضوع ومنهجي فيه، وخطة البحث.

٢- المبحث الأول: التعريف بالمسجد. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف اللغوي.

المطلب الثاني: التعريف الاصطلاحي.

٣- المبحث الثاني: مكانة المسجد في الإسلام.

٤- المبحث الثالث: عمارة المساجد وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تاريخ المسجد.

المطلب الثاني: العمارة الحسية.

المطلب الثالث: العمارة المعنوية.

٥- المبحث الرابع:أعداء المسجد.

٦- المبحث الخامس: وظيفة المسجد.

٧- المبحث السادس: آداب تتعلق بالمسجد.

٨- الخاتمة وفيها أهم النتائج.

٩- هوامش البحثم

١٠- مراجع البحث.

المبحث الأول
التعريف بالمسجد

المطلب الأول: التعريف اللغوي

قال في مختار الصحاح:

(والمسجد بكسر الجيم وفتحها معروف. قال الفراء: ما كان على فَعَل يَفْعُل كدخل يدخل فالمفعل منه بالفتح اسماً كان أو مصدراً ولا يقع فيه الفرق مثل دخل مَدْخَلاً، وهذا مدخله، إلا أحرفاً من الأسماء ألزموها كسر العين ومن ذلك المسجد والمطلع..... فجعلوا الكسر علامة الاسم، وربما فتحه بعض العرب في الاسم، فقد روي مسكَن ومسكِن، وسمع المسجَد والمسجِد..)[٥]

وقال ابن منظور في لسان العرب: (سجد يسجد سجوداً إذا وضع جبهته بالأرض)[٦]

وقال في تاج العروس: (قال الليث: السجود مواضعه من الجسد والأرض مساجد، واحدها مسجد، قال: والمسجد: اسم جامع حيث سجد عليه وفي كتاب الفروق لابن بري: المسجد البيت الذي يسجد فيه وبالفتح موضع الجبهة)[٧] وقد تبدل الجيم ياءً فيقال: (مسيد) بفتح الميم[٨].

والمسجد أيضاً: موضع السجود من بدن الانسان: الجبهة والأنف واليدان والركبتان والرجلان[٩].

وبمجموع التعاريف السابقة يتبين أن المسجد يطلق على موضع السجود من الأرض وهو مكان العبادة، ويراد به البناء المقام على موضع السجود.

ويطلق أيضاً على موضعه من بدن الإنسان وهي الأعضاء السبعة.

المطلب الثاني: التعريف الاصطلاحي:

تناول العلماء لفظ (المسجد) بالتعريف. قال في إعلام الساجد:

(...كل موضع من الأرض، لقوله صلى الله عليه وسلم «جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً»)(١٠)(١١).

وعلى هذا يكون المسجد كل موضع من الأرض سواء أعد وهيئ للصلاة أم لا. بينما ذكر الجراعي التخصيص فقال: (......إن العرف خصص المسجد بالمكان المهيأ للصلوات الخمس)(١٢).

وبهذا التعريف يخرج (المصلى) وهو ما أعد لصلاة العيد أو الاستسقاء أو الجنائز أو غيرها فلا يعطى حكم المسجد من حيث تحية المسجد. وعليه يدل قوله صلى الله عليه وسلم: «إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلي ركعتين»(١٣).

- أما المناسبة بين التعريف اللغوي والاصطلاحي، فقال في إعلام الساجد: (...إنه لما كان السجود أشرف أفعال الصلاة لقرب العبد من ربه، ودلالته على كمال التذلل والخضوع لخالقه اشتق المكان منه فقيل: مسجد، ولم يقولوا: مركع)(١٤).

فالمناسبة إذن واضحة وظاهرة بين التعريفين إذ السجود أحد أفعال الصلاة وأشرفها فاشتق منه المكان.

المبحث الثاني
مكانة المسجد في الإسلام

إن المتأمل في النصوص الواردة في هذا الموضوع سواء منها ما في القرآن العظيم أو في السنة النبوية يجد أن الإسلام أعطى المسجد المكانة العظيمة التي تناسب وظيفته، وقد رفع الله من هذه المكانة، وعظّمها في نفوس الخلق، وذلك من خلال الأمور التالية:

أ- أنها أضيفت إلى الله -عز وجل- وهذه الإضافة إضافة تشريف وتكريم.

قال تعالى: ﴿**وأن المساجد لله**﴾[15].

وقال تعالى: ﴿**إنما يعمر مساجد الله**﴾[16].

وقال تعالى: ﴿**ومن أظلم ممن منع مساجد الله**﴾[17].

فهذه الإضافة إضافة تشريف وتكريم كما يقال: ناقة الله، وبيت الله، وغير ذلك.

ولشرف هذه الأماكن ولعظم مايؤدى فيها من عبادة،ولقرب المصلي من ربه، أضيفت إلى الله عز وجل.

ب- عمارة المسجد دلالة على الإيمان بالله واليوم الآخر.

ومن عظم المسجد ورفعة مكانته أن الله -عز وجل- جعل عمارته دلالة على الإيمان بالله واليوم الآخر. قال تعالى: ﴿**إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر**﴾.

ففي هذه الآية الكريمة شهادة لعمار المساجد بالإيمان بالله واليوم الآخر، بل فيها الحصر والقصر على أنه لا يعمرها إلا من كانت صفته كذلك.

وفيها أيضاً دلالة على أن عمارة المساجد ليست من أعمال المشركين، وإنما هي من أعمال المؤمنين الصادقين فهم الحقيقون بعمارتها حسياً ومعنوياً.

ج- أن الله توعد من اعتدى على المساجد ووصفه بالظلم.

ومن عظم مكانة المسجد ورفعة شأنه وعلو قدره وقدسيته أن الله عز وجل توعد من اعتدى على أي مسجد أقيم لعبادة الله وحده وعلى سنة نبيه صلى الله عليه وسلم، ووصفه بأعظم الظلم. قال تعالى: ﴿**ومن أظلم ممن**

منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾(١٨).

فتوعد من عطل رسالة المسجد بالخزي في الدنيا ﴿**لهم في الدنيا خزي**﴾ وتوعدهم بالعذاب العظيم في الآخرة ﴿**ولهم في الآخرة عذاب عظيم**﴾.

قال في جامع البيان: (وأي امرىء أشد تعدياً وجراءة على الله وخلافاً لأمره، من امرىء منع مساجد الله أن يعبد فيها)(١٩).

وإن كانت الآية نازلة في شأن تحويل القبلة ومحاولة اليهود صد المسلمين عن التوجه إلى الكعبة -أول بيت وضع للناس وأول قبلة- إلا أن الآية على أية حال عامة في منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه والسعي في خرابها سواء المسجد الحرام أوغيره وسواء اليهود أو غيرهم.

ولا شك أن التوعد بهذا الوعيد في الدنيا والآخرة يدل على عظم حرمة المساجد وعلو شأنها ورفعة مكانتها حيث جعلت بهذه المنزلة. كيف لا وهي بيوت الله؟.

د- ثناء الله -عز وجل- على ملازمي المساجد.

ومما يدل على مكانتها أن الله -جل شأنه- أثنى على ملازميها أوقات الصلاة المسرعين إليها الذين لا تشغلهم الدنيا بزخرفها عنها.

قال تعالى: ﴿**في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال. رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً**

تتقلب فيه القلوب والأبصار. ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب﴾[٢٠].

قال في تفسير كلام المنان:

(...ولما كان نور الإيمان والقرآن أكثر وقوع أسبابه في المساجد ذكرها منوهاً بها فقال: «في بيوت أذن الله» أي يتعبد لله في بيوت عظيمة فاضلة، هي أحب البقاع إليه وهي المساجد)[٢١].

هـ- الأمر بأخذ الزينة لها

ومما يدل على علو مكانة المسجد في الإسلام ورفعة قدره أن الله -عز وجل- أمر بني آدم بأخذ الزينة ولبس أحسن اللباس عند الذهاب إلى المساجد. قال تعالى: **﴿يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾**[٢٢].

قال في أحكام القرآن:

(......ظاهره الأمر بأخذ الزينة عند كل مسجد للفعل الذي يتعلق بالمسجد تعظيماً للمسجد والفعل الواقع فيه، مثل الاعتكاف والصلاة والطواف.......)[٢٣].

فهذه البقاع يجب أن تتميز بالطهر ورفعة المكانة في نفوس مرتاديها فيتأهبوا لدخولها بأحسن لباس وأنظفه وأجمله، ولذا نجد الرسول -صلى الله عليه وسلم- نهى من أكل ثوماً أوبصلاً من دخول المسجد فقال: (من أكل من هذه الشجرة -يعني الثوم- فلا يغشانا في مساجدنا).

وقال: (من أكل ثوماً أو بصلاً فليعتزلنا -أو قال:- فليعتزل مسجدنا وليقعد في بيته.....)[٢٤].

كل هذا يدل على عظم المساجد وعلو شأنها. ويتأكد على أولئك الذين يدخلون المسجد بملابس الراحة أو

ملابس العمل التي لا تتصف بالجمال والنظافة، ويتأكد على أولئك الذين لايتحرجون من أكل أو شرب ماله رائحة كريهة... يتأكد على هؤلاء وهؤلاء امتثالاً لهذه الأوامر أخذ الزينة بكامل ماتحتمله من معنى الزينة الخارجية والباطنية عند الذهاب إلى المسجد.

و- منع الكافر من دخولها

ومن عظم مكانة المسجد في الإسلام وطهارتها أنها لم تترك لكل مخلوق بل اشترط أن يكون الداخل طاهراً معنوياً فمنع الكفار من دخولها لأنهم نجس. قال تعالى: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا...** ﴾[٢٥].

وقد اتفق على أن الكافر يمنع من دخول المسجد الحرام بنص هذه الآية.

أما مساجد الحل فاختلفوا فيها والصحيح أنه ليس لهم دخولها بحال[٢٦]. والسبب أنه نجس ولا يليق بمن هذه حاله أن يدخل أطهر البقاع وأحبها إلى الله.

ز- اهتمام الرسول صلى الله عليه وسلم

وهذا من أعظم الأدلة على مكانة المسجد وأهميته في الإسلام حيث بدأ الرسول -صلى الله عليه وسلم- ببنائه في المدينة عند قدومه إليها لعلمه بأهميته فكأنه لا اجتماع للمسلمين إلا في المسجد ولا كيان لهم إلا بوجود المسجد فهو العلامة الظاهرة.

لذلك جعله الرسول -صلى الله عليه وسلم- أول عمل يقوم به في المدينة حينما أرسل إلى بني النجار وقال: (يا بني النجار ثامنوني بحائطكم هذا)[٢٧].

هذا من أهم ما ورد في القرآن العظيم مما يدل على مكانة المسجد في الإسلام، وليس هذا بغريب أن يعطى المسجد هذه المكانة الرفيعة العالية فالمساجد بيوت الله وهي أحب البقاع إليه، بها تقام أعظم العبادات وأهمها وبها يجتمع المسلمون، فهي المدرسة الأولى التي تخرج الأجيال وهي العلامة على الإسلام، وفيها التعليم والتوجيه، وفيها الذكر والتسبيح وقراءة القران وفيها الروحانية والإيمان، فهي جديرة بهذا الشأن.

ومن هذه المكانة أولى العلماء المساجد اهتماماً كبيراً فبحثوا في أحكامها وألفوا فيها المؤلفات ومنها:

١- كتاب المساجد: للدارقطني علي بن عمر بن أحمد بن مهدي البغدادي ت ٣٨٥.

٢- كتاب المساجد: لعلي بن أحمد بن علي الشهير بالعقيقي ت ٣٩٩.

٣- حرمة المساجد: لأبي نعيم الاصبهاني ت ٤٣٠.

٤- النور اللامع فيما يعمل به في الجامع -يعني الجامع الأموي- لابن أبي العز الحنفي الدمشقي ت٧٩٢.

٥- إعلام الساجد بأحكام المساجد لبدر الدين الزركشي ت ٧٩٤.

٦- تسهيل المقاصد لزوار المساجد لشهاب الدين أحمد بن العماد الأفقهي الشافعي ت ٨٠٨.

٧- تحفة الراكع والساجد في أحكام المساجد للشيخ أبي بكر بن زيد الجراعي ت ٨٨٣.

٨- تحريك الفتى الواجد لبناء الجوامع والمساجد لشمس الدين السخاوي ت٩٠٢.

٩- بذل العسجد لسؤال المسجد لجلال الدين السوطي ت ٩١١.

١٠- إصلاح المساجد من البدع والعوائد، جمال الدين القاسمي ت١٣٣٢.
١١- المسجد في الإسلام: رسالته، نظام بنائه، احكامه، آدابه، بدعه، خير الدين الوانلي.
١٢- تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد، للألباني طبع ١٣٧٧.
١٣- المسجد وتعليم الكبار في المجتمع المعاصر -المركز الدولي للتعليم الوظيفي للكبار في العالم العربي- المملكة العربية السعودية جامعة الامام.
١٤- المساجد في الإسلام، طه الولي.
١٥- المساجد، حسين مؤنس.

المبحث الثالث
عمارة المساجد

العمارة: مايعمر به المكان[٢٨].

وعمارة الدار بناؤها، والعمارة نقيض الخراب، وعمارة المساجد بمعناها العام تشمل العمارة بنوعيها العمارة الحسية، والعمارة المعنوية، والعمارة الحسية تشمل بناء المساجد وتشييدها وترميمها وخدمتها وإقامة ما وهى منها، وصيانتها.

والعمارة المعنوية من لزومها الاعتكاف فيها وذكر الله فيها والمحافظة على إقامة الصلوات جماعة فيها، وإقامة الدروس العلمية فيها وتعلم القرآن وتعليمه بها إلى غير ذلك.

قال في الكشاف:

(والعمارة تتناول رَمّ ما استرم منها وقمها وتنظيفها وتنويرها بالمصابيح وتعظيمها واعتيادها للعبادة والذكر، ومن الذكر دروس العلم بل هو أجله وأعظمه، وصيانتها مما لم تبن له المساجد من أحاديث الدنيا فضلاً عن

فضول الحديث)[٢٩].

وقد تحدث القرآن الكريم عن عمارة المسجد بنوعيها، وحث عليها، وبين فضلها وصفة من يعمرها. وفي المطالب التالية بيان لذلك.

المطلب الأول: تاريخ المسجد

لقد تحدث القرآن الكريم عن المسجد وتاريخه وذلك من خلال النصوص الواردة فيه. يقول الله تعالى: ﴿**إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين فيه آيات بينات**﴾[٣٠].

ويقول تعالى: ﴿**وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم**﴾[٣١].

ففي هذه الآيات إخبار من الله عز وجل عن بناء المسجد الحرام، وهو أول بيت أمر الله ببنائه في الأرض لعبادته -جل وعلا- وإقامة ذكره، وهذا ما بينه قول الرسول صلى الله عليه وسلم لأبي ذر رضي الله عنه لما سأله فقال: يا رسول الله: أي المساجد وضع في الأرض أول؟ قال: المسجد الحرام، فقلت: ثم أي؟ فقال: المسجد الأقصى، فقلت: كم كان بينهما ؟ فقال: أربعون سنة.....)[٣٢].

وليس المراد بالأولية هنا أولية البناء والوضع، إنما أولية تخصيصه بالعبادة.

وذلك أن الله عز وجل أمر نبيه وخليله إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- وابنه إسماعيل برفع قواعد البيت وتطهيره وتهيئته للطائفين والعاكفين ﴿**وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود**﴾البقرة: ١٢٥.

وكما ورد في حديث مجيء إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- لتفقد

إسماعيل وفيه: ثم قال: يا إسماعيل إن الله قد أمرني بأمر، قال: فاصنع ما أمرك ربك قال: وتعينني؟ قال: وأعينك، قال: فإن الله أمرني أن أبني ههنا بيتاً، وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها. قال: فعند ذلك رفعا القواعد من البيت، فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة، وإبراهيم يبني، حتى إذا ارتفع البناء، جاء بهذا الحجر، فوضعه له، فقام عليه، وهو يبني وإسماعيل يناوله الحجارة، وهما يقولان: (ربنا تقبل منا....) قال: فجعلا يبنيان حتى يدورا حول البيت، وهما يقولان: ﴿**ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم**﴾[٣٣].

ثم بعد ذلك بأربعين سنة وضع يعقوب بن إسحاق عليهما الصلاة والسلام أسس المسجد الأقصى المبارك.

ثم توالى بناء المساجد وتشييدها وعمارتها وتوسيعها وترميمها، بل كان المسجد هو أول المنشآت التي عني بإقامتها المسلمون. وهذا يتمثل في مبادرة الرسول صلى الله عليه وسلم ببناء مسجده في، ثم بعد ذلك اهتمام الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم من الخلفاء بعمارة المساجد وتوسيعها.

المطلب الثاني: العمارة الحسية

العمارة الحسية كما تقدم يعنى بها إقامة المسجد وبناؤه والمتأمل في الآيات القرآنية يجد أن الله -عز وجل- أثنى على عمارة بيوته سواء المسجد الحرام أو غيره من المساجد.

١- يقول تعالى: ﴿**وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل، ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم**﴾[٣٤].

ففي هذه الآية العظيمة ثناء من الله -عز وجل- وإشادة بذكر نبيه وخليله إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- على بنائه البيت الحرام.

وفي الآية أيضاً إشارة إلى أن بناء المساجد من الأعمال الخيرية التي يثاب عليها الإنسان. ولذا ختمت الآية بهذا الدعاء ﴿**ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم**﴾.

٢- وفي موضع آخر من القرآن العظيم بين الله من أحق بعمارة المساجد وما يترتب على ذلك فقال تعالى: ﴿**ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون. إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين**﴾[٣٥].

وفي هاتين الآيتين بيان لمن هو حقيق بعمارة المساجد -التي هي بيوت الله خالصة له- وأن المساجد لله فلا يذكر فيها إلا اسمه ولا يدعى معه فيها أحد غيره ﴿**فلا تدعوا مع الله أحداً**﴾ وإذا كانت بهذه المثابة وهذه الصفة فكيف يقوم المشركين بعمارتها؟ وهم لم يعمروا قلوبهم بالتوحيد الخالص بل كفروا وأشركوا واتصفوا بما ينافي بناء المساجد الخالصة لله عز وجل، فلا يعمرها إلا من عمر قلبه بالإيمان والتجرد لله وهم المؤمنون الخلص ﴿**إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة...**﴾

قال الطبري: «ماينبغي للمشركين أن يعمروا مساجد الله وهم شاهدون على أنفسهم بالكفر. يقول: إن المساجد إنما تعمر لعبادة الله فيها، لا للكفر به،

فمن كان بالله كافراً، فليس من شأنه أن يعمر مساجد الله»[٣٦]. وذلك أن قريشاً افتخروا بالسقاية وسدانة البيت وعمارته، فأعلمهم -جل ثناؤه- أن الفخر كل الفخر والعز كل العز يكمن في الإيمان بالله واليوم الآخر.

٣- وقال تعالى: ﴿**في بيوت أذن الله أن ترفع**﴾[٣٧]. المراد بالبيوت هنا المساجد ومعنى (أذن) أي أمر وقضى. ومعنى (ترفع): تبنى وتعلى.

هذا، ومما يدخل قطعاً في العمارة الحسية للمساجد نظافتها وفرشها وإضاءتها وصيانة ماوهى منها وسقط، لأن هذا من مقومات المسجد ولا يمكن أن ينفك عنه.

إضافة إلى هذه الآيات التي تشير إلى فضل عمارة المساجد، قد حث النبي -صلى الله عليه وسلم- على بناء المساجد وعمارتها حسياً وذلك من خلال فعله وقوله. أما فعله -صلى الله عليه وسلم- ففي حديث أنس عندما قدم النبي -صلى الله عليه وسلم- المدينة، قال: ثم إنه أمر بالمسجد، قال: فأرسل إلى ملأ بني النجار فجاءوا فقال: يا بني النجار ثامنوني بحائطكم هذا. قالوا: لاوالله لا نطلب ثمنه إلا إلى الله.... ثم قال: فكانوا يرتجزون ورسول الله -صلى الله عليه وسلم- معهم يقول:

اللهم إنه لا خير إلا خير الآخرة

فانصر الأنصار والمهاجرة

وفي لفظ البخاري: فأبى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما، ثم بناه مسجداً، وطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل معهم اللبن في بنيانه ويقول:

هذا الحمال لا حمال خيبر

هذا أبرُّ ربنا وأطهر

ويقول:

اللهم إن الأجر أجر الآخرة

فارحم الأنصار والمهاجرة[٣٨].

فهذا فعله صلى الله عليه وسلم وحرصه على بناء المسجد وإسراعه إليه لعلمه بما فيه من الأجر العظيم والثواب الجزيل.

وأما قوله فأكثر من أن يحصى، ومن قوله: (... ومن بنى مسجداً يبتغي به وجه الله بنى الله له مثله في الجنة)[٣٩].

وقال في حديث آخر: (من بنى مسجداً لله كمفحص قطاة أو أصغر بنى الله له بيتاً في الجنة)[٤٠].

والأحاديث في بناء المسجد وتنظيفه كثيرة جداً يصعب حصرها في مثل هذا المختصر.

المطلب الثالث: العمارة المعنوية

العمارة المعنوية للمسجد لا تقل أهمية عن عمارته الحسية بل هي المقصودة من عمارته حسياً. وقد مدح الله -عز وجل- وأثنى على عباده في كثير من الآيات مما يتبين من خلاله أن العمارة المعنوية من إقامة الصلوات والجمع والجماعات والذكر والتسبيح وقراءة القرآن والاعتكاف وغير ذلك هي الهدف والمقصود من العمارة الحسية. قال تعالى: ﴿**في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله...**﴾[٤١].

قال الشيخ ابن سعدي رحمه الله:

«عمارة المساجد قسمان: عمارة بنيان وصيانة لها، وعمارة بذكر اسم الله من الصلاة وغيرها، وهذا أشرف القسمين»[٤٢].

وسيأتي مزيد بيان -بإذن الله- لهذا المطلب عند الحديث عن وظيفة المسجد، إذ هي الوظيفة الأساسية للمساجد.

المبحث الرابع
أعداء المسجد

إن الصراع بين الحق والباطل سنة ماضية، قال تعالى مسلياً نبيه محمداً -صلى الله عليه وسلم-: ﴿**وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن...**﴾[٤٣].

وقال تعالى: ﴿**وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين**﴾[٤٤].

فهكذا اقتضت سنة الله -عز وجل- أن يكون الصراع بين الحق والباطل مستمراً، ولكن العاقبة للحق وأهله.

وأعداء الرسل أعداء لأتباعهم ولدينهم، ولم يألوا جهداً في التضييق على المسلمين في عبادتهم، ولما كان المسجد له هذه المكانة العظيمة، والمنزلة الرفيعة بين المسلمين، حاول أعداؤهم صرفهم عن المسجد، وإبعادهم عنه.

وقد ذكر لنا القرآن الكريم أعداء المسجد وشنع عليهم، وذكر أن جرمهم من أعظم الجرم، وذكر جزاءهم، وفيما يلي إشارة إلى ذلك:-

أ- **إخباره تعالى أن صد المسلمين عن المسجد الحرام من أعمال المشركين** قال تعالى: ﴿**إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام..**﴾[٤٥].

وقال تعالى: ﴿**هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد**

الحرام...﴾[٤٦].

يقول ابن سعدي في تفسيره: «يخبر تعالى عن شناعة ما عليه المشركون الكافرون بربهم، وأنهم جمعوا بين الكفر بالله ورسوله، وبين الصد عن سبيله، ومنع الناس من الإيمان، والصد أيضاً عن المسجد الحرام، الذي ليس ملكاً لهم ولا لآبائهم، بل الناس فيه سواء... بل صدوا عنه أفضل الخلق محمداً وأصحابه...»[٤٧]. وما ذكره تعالى في هذه الآية من أن من أعمال الكفار الصد عن سبيل الله وعن المسجد الحرام بينه في غير موضع من القرآن الكريم. وهؤلاء الأعداء -كفار قريش وغيرهم- منعوا المسلمين من الحج والعمرة إلى المسجد الحرام، كما فعلوا عام الحديبية، وهو الذي جعله الله للناس دار سلام يستوي فيه المقيم بمكة والوافد إليها، بيت يتساوى فيه عباد الله سواء العاكف فيه والعباد.

وإذا صد المشركون المؤمنين عن المسجد الحرام وطردوهم عنه فأي خراب للمسجد الحرام أعظم مما فعلوا، وأي عداوة أشنع من هذه العداوة؟ حيث منعوا عمارته بذكر الله وإقامة شرعه فيه، ورفعه عن الدنس والشرك. فليس المراد بعمارته زخرفته وإقامة صورته فقط.

ب- إخباره تعالى أن الصد عن المسجد الحرام من أعظم الظلم

قال تعالى: **﴿ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾**[٤٨].

يقول ابن سعدي: «أي: لا أحد أظلم وأشد جرماً ممن منع مساجد الله

عن ذكر الله فيها، وإقامة الصلاة وغيرها من الطاعات... واجتهد وبذل وسعه في خرابها الحسي والمعنوي، فالخراب الحسي: هدمها وتخريبها وتقذيرها، والخراب المعنوي: منع الذاكرين لاسم الله فيها».

ثم يقول: «وهذا عام لكل من اتصف بهذه الصفة، فيدخل في ذلك أصحاب الفيل وقريش حيث صدوا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عام الحديبية. والنصارى حين أخربوا بيت المقدس، وغيرهم من أنواع الظلمة، الساعين في خرابها محادة لله، ومشاقة»(٤٩).

ولما كان هذا العمل من أعظم أنواع الظلم وأشنعه، فكذلك الحكم الذي يرتبه -عز وجل- على هذه الفعلة، الذي يليق أن يكون جزاءً لفاعلها فهو عظيم فجازاهم الله بأن منعهم دخولها إلا خائفين ذليلين، فلما أخافوا عباد الله، أخافهم الله.

وهو بشارة من الله للمسلمين بأنه سيظهرهم على المسجد الحرام، ويذل لهم المشركين فلا يدخلوا المسجد الحرام إلا خائفين من الأخذ والعقاب والقتل إن لم يسلموا.

يقول ابن سعدي: «... فالمشركون الذين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يلبث رسوله صلى الله عليه وسلم حتى أذن له في فتح مكة، ومنع المشركين من قربان بيته، ... وأصحاب الفيل قد ذكر الله ماجرى عليهم، والنصارى سلط الله عليهم المؤمنين فأجلوهم. وهكذا كل من اتصف بوصفهم فلا بد أن يناله قسطه...»(٥٠).

وهذا هو الخزي في الدنيا والفضيحة، أما في الآخرة فلهم عذاب عظيم. فالصد عن المساجد عموما والمسجد الحرام خصوصاً من أسباب العذاب.

يقول عز وجل: ﴿**وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون**﴾(٥١).

قال القاسمي في محاسن التأويل: «أي: وأي شيء لهم في انتفاء العذاب عنهم، وحالهم الصد عن المسجد الحرام، كما صدوا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عام الحديبية، ومن صدهم عنه إلجاء رسول الله -صلى الله عليه وسلم- والمؤمنين إلى الهجرة»(٥٢).

المبحث الخامس
وظيفة المسجد

المساجد بيوت الله، أذن أن ترفع ويذكر فيها اسمه، وأمر بتطهيرها من الأنجاس الحسية والمعنوية. بيوت أذن الله أن ترفع، وأن تكون خاصة لذكره -جل شأنه- وعبادته يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال جلّ همهم الطاعة لذتهم في العبادة فلا الدنيا بزخرفها فتنتهم ولا حب المال شغلهم، قلوبهم معلقة بالمساجد يسبحون الله فيها ويذكرونه، يؤدون فرائضه، ويحافظون على أوامره. والمسجد بهذه المثابة بني لوظيفة غالية وهدف أسمى رفيع هو الهدف من إقامته وتشييده، وفيما يلي بيان لهذه الوظيفة كما ورد في الآيات القرآنية:-

١-إقامة الصلاة فيه

إن الصلاة وهي أم العبادات البدنية، وليس شيء من الأعمال تركه كفر إلا الصلاة، وهي التي من أجلها عمرت المساجد وشيدت، وهي العمارة المعنوية لبيوت الله، وهي أهم وظيفة للمسجد، فلأجلها يجتمع المسلمون في هذا المكان، وتبعاً لإقامتها تتحقق بقية الوظائف . قال تعالى: ﴿**قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون**﴾(٥٣). فأمر الله القوم أن يتوجهوا بصلاتهم إلى ربهم لا إلى ماسواه من الأوثان والأصنام. وهذا هو المروي عن الربيع وغيره(٥٤)

يقول ابن سعدي: «وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد. أي توجهوا إلى الله واجتهدوا في تكميل العبادات خصوصاً الصلاة أقيموها ظاهراً وباطناً ونقوها من كل نقص ومفسد»(٥٥).

هذا، وإن المتتبع لسيرة الرسول -صلى الله عليه وسلم- ولأمره بإقامة الصلاة يرى تحقق هذه الوظيفة في المسجد رأي العين، فمن أجلها أقام -صلى الله عليه وسلم- مسجده، ولعظم هذه الوظيفة لم يعذر الرسول -عليه الصلاة والسلام- الرجل الأعمى في التخلف عن المسجد(٥٦). بل توعد المتخلفين عن الصلاة مع الجماعة في مسجده بتحريق بيوتهم بالنار(٥٧).

وتظهر أهمية هذه الوظيفة عندما يعلم المسلم ما أعده الله من الأجر ومضاعفة الحسنات وحط السيئات ورفعة الدرجات بل قد عد بعض الصحابة -رضي الله عنهم- كعبد الله بن مسعود رضي الله عنه التخلف عن

الصلاة في المسجد علامة من علامات النفاق، حتى كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف. كل هذا وغيره يؤكد هذه الوظيفة العظيمة التي هي أسمى الوظائف.

٢- الاعتكاف

ومن وظائف المسجد الاعتكاف فيه. وهو (لزوم المسجد من شخص مخصوص على صفة مخصوصة)[٥٨].

يقول تعالى: ﴿**...ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد تلك حدود الله فلا تقربوها، كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون**﴾[٥٩].

واتفق العلماء على اشتراط المسجد للاعتكاف[٦٠]. فلا يمكن الاعتكاف في غير المسجد لأن الاعتكاف عبادة توقيفية. اعتكف الرسول -صلى الله عليه وسلم- في رمضان في مسجده[٦١]. واعتكف الصحابة من بعده في مسجده أيضاً. بل اشترط الفقهاء أن يكون المسجد المعتكف فيه تقام فيه صلاة الجمعة حتى لا يقطع المعتكف عبادته، لأن الغاية من الاعتكاف العبادة والبعد عن الدنيا وزخرفها، وإذا كان في المسجد فلا يرى حوله إلا ساجداً أو راكعاً، أوتالياً للقرآن فتنشرح نفسه في هذا المكان الطاهر المتميز البعيد عن الدنيا والعمل لها. وهذه الصورة الإيمانية والصفاء الروحي لا يمكن أن يتحقق بحال إلا في المسجد لأنه مهيأ لذلك.

٣-التسبيح وقراءة القرآن

ومن وظائف المسجد العبادة فيه بنوافل الطاعات من الذكر والتسبيح وقراءة القرآن، وهذه النوافل من أهم

العبادات وأيسرها على الانسان، والمساجد دور عبادة وذكر وتضرع وخضوع لله -عز وجل- ومواضع تسبيح وابتهال وتذلل بين يدي الخالق رغبة فيما عنده من عظيم الأجر، وهي أيضاً مقام تهجد وترتيل لكتاب الله الذي أنزل ليتعبد الله بتلاوته وليعمل به وليكون ميزان تفاضل بين الناس. يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين»(٦٢).

بل جاء الترغيب في تعلمه وتعليمه: (خيركم من تعلم القرآن وعلمه)(٦٣). وخير وسيلة لتلاوة القرآن العظيم والمداومة على ذلك هو الاجتماع له في أطهر بقعة وهي المسجد، ولذا ورد الترغيب عن الرسول -عليه الصلاة والسلام- في قراءة القرآن في المسجد يقول: (... ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده)(٦٤).

ويدخل في ذلك حلقات تعلم القرآن الكريم وتعليمه في المسجد لاسيما وقد قال الرسول -صلى الله عليه وسلم-: (..... أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بطحان أو إلى العقيق فيأتي منه بناقتين كوماوين في غير إثم ولا قطع رحم فقلنا يا رسول الله: نحب ذلك، قال: أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيعلم أو يقرأ آيتين من كتاب الله عز وجل خير له من ناقتين، وثلاث خير له من ثلاث، وأربع خير له من أربع، ومن أعداد هن من الابل)(٦٥).

هذا في جانب تلاوة القرآن العظيم وتعلمه وتعليمه.

أما في الذكر والتسبيح، فكان

رسولنا -عليه الصلاة والسلام- إذا صلى الفجر تربع في مجلسه حتى تطلع الشمس(٦٦).

وحث على البقاء في المسجد ورغب فيه وبين ما يترتب على ذلك من الأجر العظيم ونزول السكينة وغشيان الرحمة والذكر في الملأ الأعلى.

هذه أهم الوظائف التي ورد ذكرها في القرآن العظيم لعموم المساجد، وهناك وظيفة خاصة بالمسجد الحرام دون غيره هي الطواف، قال تعالى: **﴿وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود﴾**(٦٧).

وقال تعالى: **﴿وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئاً وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود﴾**(٦٨).

وقال تعالى: **﴿ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق﴾**(٦٩).

فالطواف بالبيت من أفضل العبادات بعد الصلاة، ولذا ورد الأمر في الآيات السابقة بتهيئة البيت الحرام وتطهيره من أدران الشرك ليتمكن المعتكفون والزائرون من الطواف .

وهذه الوظيفة لا يمكن أن تتحقق إلا في المسجد الحرام.

وهناك وظائف للمسجد سوى ما تقدم أخذت من فعل النبي صلى الله عليه وسلم وهو في مسجده الشريف بالمدينة المنورة فمنها:

التعليم والدعوة إلى الله عز وجل

لقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يجلس في مسجده لتعليم

المسلمين أمور دينهم والدعوة إليه،بل كان المسجد في عصره هو المدرسة الأولى والأخيرة لتعليم الإسلام والدعوة إليه، وهو مكان اجتماع المسلمين لتدارس رأيهم ومشاوراتهم، وهو مكان عقد ألويتهم إلى غير ذلك.

فكان صلى الله عليه وسلم إذا صلى الصبح انصرف، وتحلق أصحابه حوله حلقاً بعضها أضيق من بعض، فيتلو ما أنزل عليه من القرآن، ويحدثهم ويسألونه عما يعرض لهم، ويعلم من قد وفد عليه في المسجد، والأحاديث في ذلك أكثر من أن تحصر.

وهكذا صحبه من بعده اتخذوا المساجد دوراً للتعليم والتعلم والدعوة إلى الله، كما روى أنس -رضي الله عنه- قوله عن حلق العلم بين الصحابة: (إنما كانوا إذا صلوا الغداة قعدوا حلقاً حلقاً يقرؤون القرآن والفرائض والسنة)[٧٠].

ولا أدل على قيام السلف بهذه الوظيفة للمسجد من انتشار مدارس الإقراء والتفسير والتعليم في مساجد البلدان المفتوحة، حتى أصبحت الجوامع بمثابة الجامعات، كجامع عمرو بن العاص، والجامع الأموي في الشام، وجامع الزيتونة، والأزهر، وجامع المنصور وغيرها من جوامع البلاد الإسلامية التي أضحت فيما بعد جامعات أكاديمية تحمل اسم الجامع الذي أنشئت فيه.

هذا ويدخل تحت التعليم مسألة الدعوة إلى الله عز وجل والوعظ والإرشاد.

ولقد كان رسولنا يدعو إلى الله

ويبلغ رسالة ربه من المسجد، بل انطلقت الدعوة من المسجد الحرام تهز أرجاء مكة عندما نزل عليه قوله تعالى: ﴿**فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين**﴾(٧١).

ذهب صلى الله عليه وسلم إلى الصفا وصعده وصاح بأعلى صوته (واصباحاه) ثم أخذ ينادي يا بني فهر، يا بني عدي، يا بني فلان، يا بني فلان، ينادي بطون قريش حتى اجتمعوا إليه فقال: أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟ قالوا: نعم ما جربنا عليك إلا صدقاً. قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد. قال أبو لهب: تباً لك يا محمد ألهذا جمعتنا؟ فنزلت: ﴿**تبت يدا أبي لهب وتب**﴾(٧٢).

ثم توالت خطبه ومواعظه ودعوته في مكة وبعد هجرته في مسجده.

والسبب في هذا -والعلم عند الله- أن المسجد له خاصية، فيه تقبل القلوب طائعة مختارة، فترق للموعظة وتتأثر بها وتستجيب لها.

ثم إن المساجد هي مكان تجمع المسلمين، فإذا حزبه أمر نادى الصلاة جامعة فينطلق الصحابة -رضي الله عليهم- إلى نقطة التجمع المعروفة -المسجد- فيتلقون أوامره ويشاورهم في الأمر، ويبلغهم ما أنزل عليه.

فلا عجب أن يكون المسجد قائماً بوظيفة الدعوة إلى الله عز وجل لاسيما قد فسر بعض العلماء «ذكر الله» في قوله تعالى:

﴿**يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله ...**﴾(٧٣) بخطبتي الجمعة.

قال ابن جرير الطبري: «وأما الذكر الذي أمر الله -تبارك وتعالى- بالسعي إليه عباده المؤمنين، فإنه موعظة الإمام في خطبته»[٧٤]،

وهكذا نقل عن سعيد بن المسيب أن المراد بذكر الله هنا هو: موعظة الإمام أي خطبته، وهي من أعظم الأساليب وأهمها في الدعوة إلى الله[٧٥].

المبحث السادس
آداب تتعلق بالمسجد

إن المسجد -وهو بهذه المكانة العظيمة يؤدي هذه الوظائف الرفيعة- له حرمته التي يجب مراعاتها،

وقد تحدث القرآن الكريم عن هذه الآداب وأشار إليها في كثير من الآيات آمراً وناهياً ومبيناً، ليكون المسلم على بينة من أمره، وليقوم بما أمر به ويجتنب ما نهى عنه. وفيما يلي بيان لأهم هذه الآداب:-

١- صيانة المسجد من الكفار

المسجد له حرمته وهيبته وله حماه فلا يكون مباحاً لكل من شاء دخله أو أهانه أو استباح حرمته. ولذلك منع الكفار من دخول المساجد. قال تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجدالحرام بعد عامهم هذا**﴾[٧٦].

والمقصود بالمسجد هنا المسجد الحرام فقد حرم الله دخوله على الكافر بنص هذه الآية.

وقد حمل بعض العلماء لفظ (المسجد الحرام) في هذه الآية على جميع الحرم.

قال القرطبي: «المسجد الحرام هذا اللفظ يطلق على جميع الحرم وهو منهب عطاءفإذن يحرم تمكين المشرك

من دخول الحرم أجمع»[٧٧].

وقد منع المشركون الآن من دخول الحرمين: الحرم المكي والحرم المدني، وهذا من تمام تعظيمهما وكمال قدسيتهما، وامتثالاً لأمر الله عز وجل: ﴿**إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام**﴾، وتحقيقاً لوعد الله -جل ثناؤه- أنهم لا يقربونه بعد عامهم هذا، وهو عام حجة أبي بكر في السنة التاسعة من الهجرة، فجعل للكفار طرق لا تمر بالحرمين.

أما مساجد الحل، فقد ذكر العلماء حكم دخول الكافر فيها. يقول ابن قدامة: «.... فأما مساجد الحل فليس لهم دخولها بغير إذن المسلمين..». ثم ذكر الرواية الأخرى وهي أنه ليس لهم دخولها بحال لأن أبا موسى الأشعري دخل على عمر رضي الله عنه ومعه كتاب قد كتب فيه حساب عمله. فقال عمر: ادع الذي كتبه ليقرأه. فقال: إنه لا يدخل المسجد. قال: ولم لا يدخل المسجد؟ قال: إنه نصراني. وهذا اتفاق منهم على أنه لا يدخل المسجد.

وفيه دليل على شهرة ذلك بينهم وتقرره عندهم، ولأن حدث الجنابة والحيض والنفاس يمنع المقام في المسجد فحدث الشرك أولى[٧٨].

ومما يدل على هذا ما في قوله تعالى: ﴿**وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين...**﴾[٧٩].

يقول الشيخ ابن سعدى رحمه الله: «وطهر بيتي: من الشرك والمعاصي ومن الأنجاس والأدناس»[٨٠].

وهكذا روي في تفسير الآية عن قتادة ومجاهد[٨١].

والعلة -والله أعلم- من منع المشركين من دخول المساجد كما هي في

الآية أنهم نجس. وأما المساجد فهي أطهر البقاع على الأرض وهي أحب البقاع إلى الله فكيف يدخل النجس الطاهر؟ وكيف يدخل المبغض من الله إلى أحب البقاع إلى الله؟ ولهذا السبب -والله أعلم- منع الكفار من دخول المساجد عموماً.

٢- أخذ الزينة لها

ومن الآداب التي ينبغي أن يؤخذ بها تجاه بيوت الله عز وجل ما يتحلى به الداخل إليها من اللباس الحسن.

قال تعالى: ﴿**يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين**﴾(٨٢).

وإن كانت الآية نازلة بسبب معين وهو ما كان يفعله أهل الجاهلية من طوافهم بالبيت عراة، إلا أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

قال ابن كثير: «ولهذه الآية وما ورد في معناها من السنة، يستحب التجمل عند الصلاة، ولا سيما يوم الجمعة، ويوم العيد، والطيب لأنه من الزينة، والسواك لأنه من تمام ذلك»(٨٣).

وقال ابن سعدي: «ويحتمل أن المراد بالزينة هنا ما فوق ذلك من اللباس النظيف الحسن، ففي هذا الأمر بستر العورة في الصلاة وباستعمال التجمل فيها، ونظافة السترة من الأدناس والأنجاس)(٨٤).

ومما يدخل في أخذ الزينة أيضاً طيب الرائحة بأن تكون رائحته طيبة زكية حتي لا يؤذي المصلين وعباد الله الصالحين من الملائكة بالروائح الكريهة، ولذا نهى النبي -عليه الصلاة والسلام- من أكل ثوماً أو بصلاً عن دخول المسجد. عن جابر بن عبد الله -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله

- صلى الله عليه وسلم-: «من أكل ثوماً أو بصلاً فليعتزلنا أو فليعتزل مسجدنا»[٨٥].

وقد قاس العلماء على ذلك كل رائحة قبيحة أو عاهة مؤذية وكل ما يتأذى به الناس كالدخان وغيره.

٣-عدم المكث فيها حال الجنابة

ومما تصان عنه المساجد: مكث من عليه حدث أكبر من جنابة أو حيض أو نفاس. قال تعالى: ﴿**يأيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنباً إلا عابري سبيل**﴾[٨٦].

ففي هذه الآية النهي عن قربان المساجد على هذه الحالة وهي حالة السكر، وذلك قبل تحريم الخمر نهائياً. وفيها أيضاً النهي عن قربانها حالة الجنابة إلا عابري سبيل[٨٧].

يقول الطبري بعد حكايته لما قيل في تأويلها: «وأولى القولين بالتأويل تأويل من تأوله -ولا جنباً إلا عابري سبيل- إلا مجتازي طريق فيه... وإذا كان كذلك فتأويل الآية: ياأيها الذين آمنوا لا تقربوا المساجد للصلاة مصلين فيها وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون، ولا تقربوها أيضاً جنباً حتى تغتسلوا إلا عابري سبيل».

ويقول ابن كثير: «ينهى تعالى عباده المؤمنين عن فعل الصلاة في حال السكر الذي لا يدري معه المصلي ما يقول، وعن قربان محلها -وهي المساجد- للجنب إلا أن يكون مجتازاً من باب إلى باب من غير مكث».

ثم قال بعد ذكره لكلام ابن جرير السابق: «وهذا الذي نصره -يعني ابن جرير- هو قول الجمهور وهو الظاهر في

الآية، وكأنه تعالى نهى عن تعاطي الصلاة على هيئة ناقصة تناقض مقصودها، وعن الدخول إلى محلها على هيئة ناقصة وهي الجنابة المباعدة للصلاة ولمحلها أيضاً -والله أعلم- »[٨٨].

وقال في الإكليل مبيناً العلة التي من أجلها حصل المنع: «ففي الآية تحريم دخول المسجد على السكران لما يتوقع منه من التلويث، وفحش القول، فيقاس به كل ذي نجاسة يخشى منها التلويث والسباب ونحوه، وعلى الجنب إلا أن يمر به مجتازاً من غير مكث فيباح له»«[٨٩].

وقد أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس -رضي الله عنهما- في قوله تعالى ﴿**ولا جنباً إلا عابري سبيل**﴾ قال: تمر به مراً ولا تجلس[٩٠]. وهذا يدل على منع من عليه جنابة من المكث في المسجد.

ويقول الشيخ السعدي: «قوله: ﴿**ولا جنباً إلا عابري سبيل**﴾ أي لا تقربوا الصلاة حال كون أحدكم جنباً إلا في هذه الحال، وهو عابر السبيل، أي تمرون في المسجد ولا تمكثون فيه»[٩١].

ومن مجموع هذه الأقوال المتقدمة يتبين لنا النهي عن قربان الصلاة ومحلها وهو المساجد وهو على هذه الحالة، وما ذاك إلا أنها نقيضة لحال المساجد. فالمساجد أحب البقاع وأطهرها ويناسبها التجمل والتطيب وأحسن هيئة وأكمل حال.

أما من به سكر أو حدث أكبر فلا يخلو حاله من وجود روائح كريهة أو عدم طهر ولو كان معنوياً، مع كونهما غير مهيأين لإقامة الصلاة، فالسكران

ذاهب عقله، ووجوده في المسجد قد ينشأ عنه سوء خلق أو أذية للمصلين، والجنب يمنعه حدثه الأكبر.

٤- عدم الخروج من المسجد إلا بعد انقضاء العبادة

قال تعالى: ﴿**وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها وتركوك قائماً قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين**﴾(٩٢).

وذلك عندما خرج الناس من مسجد الرسول -صلى الله عليه وسلم- وهو يخطب يوم الجمعة لما وصلت عير من الشام تحمل الطعام حتى لم يبق في المسجد إلا اثنا عشر رجلاً فنزلت الآية آمرةً محمداً صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم: الذي عند الله من الثواب، لمن جلس مستمعاً خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم، خير من اللهو ومن التجارة التي ينفضون إليها(٩٣).

فمن قدم إلى المسجد لأداء العبادة فيه وجب عليه البقاء وعدم الخروج منه إلا لضرورة كوضوء ونحوه حتى ينتهي من عبادته، ولا يخرجه منه طمع دنيوي كتجارة ونحوها من أمور الدنيا، ولذا نزلت الآية السابقة مبينة هذا الأدب العظيم.

هذه أهم الآداب التي وردت الإشارة إليها في القرآن الكريم وقد اعتني العلماء بهذه الآداب عناية تامة وأفردوها بالتأليف، ولولا الإطالة لذكرت طرفاً من ذلك.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وبعد:

ففي نهاية البحث والتطواف بين الآيات التي بينت وظيفة المسجد ومكانته وآدابه، أجمل النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا الجهد

المتواضع الذي منّ الله -عز وجل- به علي ويسره لي:-

١- أن المسجد هو المكان المهيأ لأداء هذه الفريضة العظيمة.

٢- أن للمسجد مكانة عظيمة ومنزلة رفيعة.

٣- اهتمام علماء المسلمين بالمساجد.

٤- أن عمارة المساجد من أفضل الأعمال والقربات وأن عمارة المساجد من صفات المؤمنين بالله واليوم الآخر.

٥- أن عمارة المسجد الحقة هي العمارة المعنوية.

٦- أن وظيفة المسجد لا تقتصر على الصلاة فحسب بل هناك وظائف أخرى كبيرة كالاعتكاف والتسبيح وقراءة القرآن.

٧- ضعف رسالة المسجد عند كثير من المسلمين، ومحاولة إقصائه من دوره في التعليم والدعوة وغيرها.

٨- أن للمسجد آداباً ينبغي تعلمها وفقهها ليكون المسلم على علم بها.

هذا وأسأل الله -جل ثناؤه- أن يكون عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هوامش البحث

١- سورة آل عمران الآية (١٠٢).

٢- سورة النساء الآية (١).

٣- سورة الأحزاب الآية (٧٠، ٧١).

٤- سورة التوبة الآية (١٨).

٥- الرازي، مختار الصحاح، مادة (سجد) ص٢٨٦.

٦- ابن منظور، لسان العرب، مادة (سجد).

٧- الزبيدي، تاج العروس ج٢ ص ٣٧٢- ٣٧٣.

٨- البعلي، المطلع، ص ١٦.

٩- ابن منظور، لسان العرب، مادة (سجد).

١٠- الزركشي، إعلام الساجد، ص٢٧.

١١- الحديث أخرجه أحمد في المسند ٢٤٨/٥ وقال

الألبـــاني في إرواء الغليـل ١/ ١٨٠ ح/١٥٢:

وهذا إسناد حسن.

١٢- الجراعي، تحفة الراكع والساجد، ص٢٧.

١٣- الحديث أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما.

١٤- الزركشي،إعلام الساجد، ص٢٨.

١٥-سورة الجن، الآية (١٨).

١٦- سورة التوبة، الآية (١٨).

١٧- سورة البقرة، الآية (١١٤).

١٨- سورة البقرة، الآية (١١٤).

١٩- الطبري، جامع البيان، ١/٤٢٢.

٢٠- سورة النور، الآية (٣٦-٣٨).

٢١- ابن سعدي، تفسير كلام المنان، ٥/٤٢٢.

٢٢- سورة الأعراف، الآية (٣١).

٢٣- إلكيا الهراسي، أحكام القرآن ٣/ ٣٦٠.

٢٤- الحديثان أخرجهما البخاري في صحيحه، كتاب الأذان باب ما جاء في الثوم، ٢/٣٣٩/ ٨٥٣، ٨٥٥.

٢٥- سورة التوبة، الآية (٢٨).

٢٦- انظر: ابن قدامة، المغني ١٣/٢٤٦- ٢٤٧.

٢٧- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوصايا، باب وقف الأرض والمسجد، ٣/١٩٧.

٢٨- ابن منظور، لسان العرب، مادة(عمر).

٢٩- الزمخشري، الكشاف، ٢/١٧٩.

٣٠- سورة آل عمران الآية (٩٦).

٣١- سورة البقرة الآية (١٨٧).

٣٢- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء. انظر فتح الباري ٦/٤٠٧ ج/٣٣٦٦.

٣٣- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب يزفـون. انظر فـتح البـاري ٦/٣٩٥ ج/٣٣٦٤.

٣٤- سورة البقرة، الآية (١٢٧).

٣٥- سورة التوبة، الآية (١٧- ١٨).

٣٦- الطبري، جامع البيان ١٠/٩٣.

٣٧- النور.الآية (٣٦).

٣٨- الحديث أخرجه البخاري ومسلم، البخاري في مناقب الأنصار باب هجرة النبي ج/٣٩٠٦. ومسلم في المساجد باب ابتناء مسجد النبي ٥٢٤.

٣٩- أخرجه البخاري في الصلاة باب من بنى مسجداً ١١٦/١، ومسلم في المساجد باب فضل بناء المساجد ح/٥٣٣.

٤٠- أخرجه ابن خزيمة في صحيحه (١٢٩٢) في فضائل المساجد باب فضل المسجد وإن صغر، وابن ماجه في المساجد باب من بنى لله مسجداً (٧٣٨). وقال الشوكاني في نيل الأوطار ١٥٤/٢: عن جابر عند ابن ماجه وإسناده جيد.

٤١- سورة النور، الآية (٣٦-٣٨).

٤٢- ابن سعدي، تفسير كلام المنان ٤٢٣/٥.

٤٣- سورة الأنعام الآية (١١٢).

٤٤- سورة الفرقان الآية (٣١).

٤٥- سورة الحج الآية (٢٥).

٤٦- سورة الفتح الآية (٢٥).

٤٧- تفسير كلام المنان ٢٨٧/٥.

٤٨- سورة البقرة الآية (١١٤).

٤٩- تفسير كلام المنان ١٢٦/١.

٥٠- المرجع السابق ١٢٧/١.

٥١- سورة الأنفال الآية (٣٤).

٥٢- محاسن التأويل ٢٩٨٨/٩.

٥٣- سورة الاعراف، الآية (٢٩).

٥٤- انظر: ابن جرير، جامع البيان ١٥٦/٨.

٥٥- ابن سعدي، تفسير كلام المنان ١٦/٣.

٥٦- إشارة إلى الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه ٤٥٢/١ ح/٢٥٥.

٥٧- إشارة إلى الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه ٤٥١/١ ح/٢٥١.

٥٨- ابن حجر، فتح الباري، ٢٧١/٤.

٥٩- سورة البقرة، الآية (١٨٧).

٦٠- ابن حجر،الفتح، ٢٧٢/٤.

٦١- إشارة إلى الحديث الذي أخرجه البخاري، انظر صحيح البخاري مع الفتح ٢٧١/٤ ح/٢٠٥٥.

٦٢- رواه مسلم في صحيحه ٥٥٩/١ ح٨١٧.

٦٣- رواه البخاري انظر صحيح البخاري بشرح فتح الباري ٧٤/٩ ح٥٠٢٧.

٦٤- رواه مسلم في صحيحه ١٠٧٤/٤ ح٢٦٩٩.

٦٥- رواه مسلم في صحيحه ح/١٣٣٦، كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

٦٦- كما في مسند أبي داود كتاب الأدب ٢/٤٢١٠.

٦٧- سورة البقرة، الآية (١٢٥).

٦٨- سورة الحج، الآية (٢٦).

٦٩- سورة الحج، الآية (٢٩).

٧٠- انظر الهيثمي، مجمع الزوائد ١/١٣٧.

٧١- سورة الحجر، الآية (٩٤).

٧٢- أخرجه البخاري انظر صحيح البخاري بشرح فتح الباري كتاب التفسير باب تفسير سورة تبت يدا، ٨/٧٣٧ ح/٤٩٧٢ ومسلم في صحيحه في كتاب الإيمان ١/١٩٣-١٩٤.

٧٣- سورة الجمعة، الآية (٩).

٧٤- تفسير الطبري ٢٨/٨١٠٢.

٧٥- تفسير البغوي ٨/١١٧.

٧٦- سورة التوبة، الآية (٢٨).

٧٧- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٨/١٠٤.

٧٨- ابن قدامة، المغني، ١٣/٢٤٦-٢٤٧.

٧٩- سورة الحج، الآية (٢٦).

٨٠- ابن سعدي، تفسير كلام المنان، ٥/٢٨٨.

٨١- انظر: الطبري، جامع البيان ١٧/١٤٣.

٨٢- سورة الأعراف، الآية (٣١).

٨٣- ابن كثير، تفسير القرآن الكريم العظيم ٣/٤٠٦.

٨٤- ابن سعدي، تفسير كلام المنان، ٣/١٩.

٨٥- أخرجه البخاري، انظر صحيح البخاري بشرح فتح الباري ٢/٣٣٩، وصحيح مسلم حديث رقم (٥٦٤).

٨٦- سورة النساء، الآية (٤٣).

٨٧- ابن جرير، جامع البيان ٥/١٠٠.

٨٨- ابن كثير، تفسير القرآن ٢/٣٠٨، ٣١٣.

٨٩- السيوطي، الإكليل، ٩٣.

٩٠- ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم ٣/٩٦٠.

٩١- ابن سعدي، تفسير كلام المنان، ٢/٧٢.

٩٢- سورة الجمعة ،الآية (١١).

٩٣-الطبري جامع البيان ٢٨/١٠٥

قائمة مراجع البحث

١- القرآن الكريم.

٢- ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد، تفسير

القرآن العظيم، تحقيق أسعد محمد الطيب، مكة المكرمة، مكتبة نزار مصطفي الباز ط، ١٤١٧هـ.

٣- ابن حنبل، الإمام أحمد بن حنبل، المسند، لبنان، المكتب الإسلامي.

٤- ابن خزيمة، ، صحيح ابن خزيمة تحقيق محمد مصطفي الأعظمي، لبنان، المكتب الإسلامي.

٥- ابن قدامة، أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد، المغني، تحقيق د.عبد الله التركي وعبد الفتاح الحلو، القاهرة، هجر ١٤١٨هـ.

٦- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي السلامة، الرياض، دار طيبة، ١٤١٨هـ.

٧- ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد، سنن ابن ماجة، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي.

٨- ابن مفلح، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن مفلح، الآداب الشرعية، الرياض، مكتبة الرياض الحديثة، ١٣٩١هـ.

٩- ابن منظور، لسان العرب، بيروت لبنان.

١٠- أبو داود، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، تحقيق عزت عبيد الدعاس وعادل السيد، حمص، دار الحديث للطباعة والنشر.

١١- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، تركيا، مؤسسة أليف أوفست.

١٢- البعلي، محمد بن أبي الفتح، المطلع على أبواب المقنع، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر.

١٣- الجراعي، أبو بكر بن يزيد، تحفة الراكع والساجد في أحكام المساجد، لبنان، المكتب الإسلامي.

١٤- الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، بيروت، دار الكتب العلمية.

١٥- الزركشي، محمد بن عبد الله،إعلام الساجد بأحكام المساجد، تحقيق مصطفي المراغي، القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية١٤٠٣هـ.

١٦- الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لبنان، دار المعرفة.

١٧- الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس، بيروت، دار مكتبة الحياة.

١٨- السعدي عبد الرحمن بن ناصر، تفسير كلام المنان، تحقيق محمد النجار، المؤسسة السعيدية.

١٩- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، الإكليل في استنباط التنزيل، تحقيق سيف الدين عبد القادر الكاتب، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠١هـ.

٢٠- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل آيات القرآن، البابي الحلبي، ١٣٨٨هـ.

٢١- العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري، مصر، المطبعة السلفية.

٢٢- العسقلاني، أحمد بن حجر، فتح الباري، تصحيح وتحقيق سماحة الشيخ ابن باز، إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

٢٣- القاسمي، محمد جمال الدين، محاسن التأويل، تصحيح محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية.

٢٤- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، لبنان، دار إحياء التراث العربي، ١٩٦٦م.

٢٥- إلكيا الهراسي، عماد الدين بن محمد الطبري، أحكام القرآن، تحقيق موسى محمد علي وعزت علي عيد عطية، القاهرة، دار الكتب الحديثه.

٢٦- مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، عيسي البابي الحلبي وشركاه.

٢٧- الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر، مجمع الزرائد ومنبع الفوائد، بيروت، دار الكتب العربي ط٣، ١٤٠٢هـ.